التنشئة السياسية وتشكيل العقل السياسي في المجتمع

أ.زرف فؤاد

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

جامعة البليدة 02

ملخص:

إن التنشئة السياسية كجزء من عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد لا يمكن أن تتم بوجه واحد أو بأسلوب واحد، وباعتبار هذه العملية التنشيئية تبدأ مع الفرد منذ ولادته وتستمر معه حتى مماته فإن الفرد خلال ذلك يأخذ من المصادر والقنوات التي قد تختلف في أساليبها ولكنها في النهاية تتجه نحو هدف واحد، وهو تنشئة الفرد تنشئة اجتماعية وسياسية يكون من خلالها عضواً فاعلاً في المجتمع الذي يعيش فيه، وقد اختلف العلماء والباحثون حول أهمية هذه المصادر بالنسبة للفرد، إلا أنهم يعتقدون بأنها جميعاً تتعاون وتتكامل لغرس وزرع القيم السياسية الأساسية لدى أفراد المجتمع وتربيهم سياسياً تربية علمية وعملية تساعدهم في توجيه سلوكهم بما يخدم مصلحة المجتمع وبما يخلق منهم مواطنين صالحين قادرين على فهم وتحليل النسق السياسي بالطرق العلمية المدروسة وبما يحقق إيمانهم بالمشاركة السياسية التي بدورها تحقق المنفعة المتبادلة والمصلحة المشتركة بين المجتمع والدولة، أي بما يحقق الفائدة للجماهير الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في بناء مجتمع سليم يقوم على احترام ذات الإنسان.

Résumé

La socialisation politique dans le cadre du processus de socialisation des individus ne peut être généralement un ou un style, et que ce processus socialisation commence par l'individu depuis sa naissance et continuer avec lui jusqu'à sa mort, l'individu au cours de cette éloigne des sources et des canaux qui peuvent varier dans leurs méthodes, mais à la fin, se déplaçant vers un objectif, qui est de l'éducation de la socialisation individuelle et politique soit par un membre actif de la communauté dans laquelle ils vivent, ont en désaccord scientifiques et les chercheurs sur l'importance de ces sources pour l'individu, mais ils croient que tous coopèrent et se complètent à cultiver et semer les valeurs politiques essentielles pour les membres de la communauté et de les amener politique de l'éducation scientifique le processus va les aider à orienter leur comportement afin de servir les intérêts de la société .

تمهيد:

يعتبر موضوع التربية السياسية والتنشئة السياسية للأطفال من أهم الموضوعات السياسية المطلوب بحثها؛ لأن الطفل هو أَمل الأُمم في المستقبل القريب في التنمية والحرية والديمقراطية، فالتنشئة السياسية تَحْمِلُ في طياتها فلسفة المجتمع وأهدافه وأيديولوجيته، كما أنها تُبَثُ عن طرق أدوات عديدة لا بد أن تتكامل حتى تحقق التنشئة السليمة للطفل ، وهناك كثير من الدراسات التي أجريت عن التنشئة، ولكنها في الحقيقة دراسات اهتمت ببعض الجوانب السلوكية والنفسية والتربوية والاجتماعية الخاصة بالطفل وابتعدت عن مناقشة الجوانب التنشئة السياسية رغم أهميتها القصوى في تنشئة الطفل تنشئة متكاملة سليمة باعتباره أحد فئات المجتمع التي يجب العناية بها سياسيا عن طريق التنشئة. كما أن دراسة القيم السياسية الموجهة للأطفال من خلال عملية التنشئة السياسية دراسة هامة وضرورية، وخصوصًا في المجتمع الجزائري، التي اقتصرت الدراسات فيها على الأبعاد غير السياسية لعملية التنشئة السياسية، ولهذا جاءت هاته الدراسة للكشف عن أبعاد وأدوات وأماكن التنشئة السياسية.

المبحث الأول: التعريف السوسيولوجي للتنشئة السياسية

أولا: التنشئة الاجتماعية:

يقصد بالتنشئة الاجتماعية تلك السيرورة التي يتم من خلالها اندماج الفرد في المجتمع من خلال استنباطه للقيم والمعايير والرموز، وكذلك أيضا من خلال تعلمه للثقافة في مجملها، وهدا عن طريق الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق،....

ويمكن اعتبارها أيضا، أنها تلك الجهود والنشاطات والوسائل الاجتماعية والفردية التي تعمل على تحويل الكائن العضوي إلى كائن اجتماعي وهذا منذ الولادة، ومنه يمكن اعتبارها عملية تعلم وتعليم لقيم اجتماعية وثقافية حسب ما توفره الجماعة من ظروف اجتماعية وقدرة مادية.

وقد عرفها **غي روشي** (Guy Rocher) في كتابه مقدمة في علم الاجتماع العام، على أنها السيرورة التي يتعلم الفرد من خلالها العناصر الاجتماعية والثقافية لوسطه الاجتماعي، كما يقوم أيضا بإدماج هذه العناصر في بناء شخصيته من خلال التجارب والتفاعلات الاجتماعية، ومن ثمة التكيف مع المحيط الذي يعيش فيه.

ثانيا: التنشئة السياسية :

يقصد بالتنشئة السياسية تشكيل الوعي السياسي، أي مجمل العمليات التي يتم من خلالها إكساب الفرد سلوكاَ ومعايير وقيماَ واتجاهات سياسية متناسبة مع أدوار مجتمعية معينة، حتى لو لم يمارس الفرد نشاطاَ سياسياَ في حزب أو جمعية أو اهتماماَ بالشأن العام، وتكون هذه العملية مستمرة منذ الولادة وحتى الممات. وتعد مرحلة الشباب من أهم مراحل التنشئة الإيديولوجية السياسية، بحكم السمات العامة لهذه المرحلة، إذ تبدأ خلالها بالتكون مواقف الفرد السياسية، و قيمه الاجتماعية، وأنماط سلوكه الاجتماعي والسياسي.

وهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى الطريقة التي يتعلم بها الأطفال قيم واتجاهات مجتمعهم وما ينتظر أن يقوموا به من أدوار عند الكبر. ويعرفها البعض على أنها تلك العملية التي يكتسب الفرد من خلالها ثقافة ومعايير جماعته في السلوك الاجتماعي وهى عملية لا تحدث لفترة معينة ثم تتوقف ولكنها مستمرة وممتدة أي أن هناك اتجاهين للنظر إلى مفهوم التنشئة:

الأول: ينظر إلى التنشئة كعملية يتم بمقتضاها تلقين المرء مجموعة من القيم والمعايير المستقرة في ضمير المجتمع بما يضمن بقاءها واستمرارها.

الثاني: ينظر إلى التنشئة على أنها عملية من خلالها يكتسب المرء تدريجيا هويته الشخصية التي تسمح له بالتعبير عن ذاته وقضاء مطالبه بالطريقة التي تحلو له.

ويمكن أن نخلص إلى تحديد عناصر مفهوم التنشئة السياسية على النحو التالي:

1- التنشئة السياسية ببساطة هي عملية تلقين لقيم واتجاهات سياسية ولقيم واهتمامات اجتماعية ذات دلالة سياسية.

2- التنشئة السياسية عملية مستمرة بمعنى أن الإنسان يتعرض لها طيلة حياته من الطفولة وحتى الشيخوخة.

3- تلعب التنشئة السياسية أدواراً رئيسية ثلاثة:

- نقل الثقافة السياسية عبر الأجيال.
- تكوين الثقافة السياسية.
- تغيير الثقافة السياسية.

4- هناك العديد من الأنساق الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية المختلفة تقوم بهذا الدور (التنشئة السياسية) بالنسبة للفرد.

5- هذه العملية هي المحدد لسلوك الفرد السياسي سواء بقبول أو رفض النظام السياسي أو قبول أو رفض المجتمع ككل أو إحدى مؤسساته.

فالتنشئة السياسية عموماً تعرف على أنها عملية مركبة تعنى من ناحية بنقل معلومات سياسية، قيم، ووجهات نظر الوالدين، المدرسين، دور العبادة، الرفاق، ووسائل الإعلام المختلفة لاسيما المرئي منها وتشير من ناحية أخرى إلى نمو قدرة الطفل على فهم البيئة السياسية التي يعيش في إطارها.

المبحث الثاني: أبعاد التنشئة السياسية:

أولا: التنشئة والمشاركة السياسية:

تتوقف مشاركة الفرد في الحياة السياسية جزئياً على كم ونوعية المنبهات السياسية التى يتعرض لها. غير أن مجرد التعرض للمنبه السياسي لا يكفى وحده لدفع الفرد إلى المشاركة السياسية وإنما لابد أيضا أن يتوفر لديه قدر معقول من الاهتمام السياسي، وهو ما يتوقف على نوعية خبرات تنشئته المبكرة ، فالتجارب والخبرات التي تحدث في مرحلة الطفولة تلعب دوراً هاماً في تشكيل اتجاهات الأفراد وتوجيه سلوكهم الفعلي فيما بعد، ويستمر تأثير هذه التجارب والخبرات على الأفراد طوال سنوات المراهقة والنضج.

ولما كانت التنشئة لا تقف عند المراحل الأولى من العمر بل أنها تحدث طوال حياة الفرد فإنه يمكن القول أن كل ما يتعلمه الفرد، وما يمر به من خبرات وتجارب على مدى عمره من الطفولة وحتى الكهولة، يؤثر بدرجة كبيرة على مدى مشاركته السياسية.

ثانيا: التنشئة والتجنيد السياسي:

يقصد بالتجنيد السياسي تقلد الأفراد للمناصب السياسية سواء سعوا إليها بدافع ذاتي أو وجههم آخرون إليها ، وينحدر شاغلو المراكز السياسية من ثقافات فرعية مختلفة، ولذا تصبح التنشئة السياسية الفعالة عملية حيوية لتزويدهم بالمعارف والمهارات السياسية. ومما يذكر أن القيم والاتجاهات التي اكتسبها الفرد من معايشته للجماعات الأولية تظل تزاول تأثيرها عليه بعد تجنيده في أي منصب سياسي.

ثالثا: التنشئة والاستقرار السياسي:

يشير الاستقرار إلى قدرة النظام على أن يحفظ ذاته عبر الزمن أي يظل في حالة تكامل، وهو ما لا يتأتى له إلا إذا اضطلعت أبنيته المختلفة بوظائفها على خير وجه ومن بينها وظيفة التنشئة السياسية ، وللتنشئة السياسية بعدان باعتبارها وظيفة ضرورية لاستمرار النظام أولهما البعد الأفقي ومضمونه أن الجيل القائم ينقل ثقافته إلى الجيل اللاحق. وثانيهما البعد الرأسي ومؤداه أن يوجد اتساق بين قيم واتجاهات وسلوكيات أفراد الجيل السائد بما يضمن للجسد السياسي قدراً .... من التلاحم والترابط.

ويشير البعض إلى وظائف التنشئة على النحو التالي:

- تعليم اللغة.
- تشكيل السلوك الانسانى للفرد.
- تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد.
- إكساب الفرد ثقافة المجتمع.
- الحفاظ على نسق القيم السائد في المجتمع.
- تعليم المهارات.
- تشكيل شخصية الفرد.

المبحث الثالث: أدوات التنشئة السياسية

تتنوع وتتعدد الأدوات التي تلعب أدواراً رئيسية في عملية التنشئة. فتحت تأثير الأسرة والمدرسة وجماعات الرفاق وأدوات الإعلام يكتسب الفرد قيماً ومعايير واتجاهات منها ما هو اجتماعي له آثاره السياسية، ومنها ما هو سياسي. وسوف نتناول هذه الأدوات على النحو التالي:

أولا: الأسـرة:

تعتبر الأسرة من أهم أدوات التنشئة السياسية وأعظمها تأثيراً في حياة الأفراد فهي أول جماعة يعيش فيها الفرد، وهى التي تقوم بإشباع حاجاته البيولوجية وما يرتبط بها من حاجات سيكولوجية واجتماعية خلال مراحل حياته الأولى، وهى التي تنقل إليه كافة المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تمكنه من أن يعيش حياة اجتماعية ناجحة بين أفراد المجتمع .

وتعتبر الأسرة المدرسة الأساسية لكل طفل لأن ما يتعلمه فيها يبقى معه طوال حياته. فعن طريقها يكتسب قيمه الاجتماعية، ومعايير سلوكه، ويكتسب ضميره الآمر الناهي الذي يثيبه على خير ما يقوم به ويعاقبه على شر ما يقترفه، وعن طريقها أيضا يكتسب الطفل المعايير العامة التي تفرضها أنماط الثقافة السائدة في المجتمع.

فالأسرة تمثل إحدى القنوات الأساسية في عملية التنشئة في مختلف دول العالم حتى في الأسر التي لا تهتم بالأمور السياسية إلا أنها ما زالت تمارس دوراً هاماً في إرشاد الصغار في عملية بناء وتنمية شخصياتهم الأساسية ومواقفهم وقيمهم ، والأسرة أول مؤسسة اجتماعية يعايشها الإنسان ويتربى في أحضانها وهي التي تقوم بغرس القيم الاجتماعية والسياسية، وتبدو أهمية الأسرة بالنسبة إلى الإنسان في المجتمع الجزائري أكثر وضوحاً لأنه يعتمد عليها مادياً ومعنوياً حتى الزواج، وفي بعض الأحيان بعد الزواج و النمط التربوي الأسري نمط أبوي يجعل للأب كل السلطة في داخل الأسرة ويعطيه السيادة على إدارة شؤونها واتخاذ القرارات فيها وما يتبع ذلك من تبجيل للكبار والإصغاء إليهم باعتبارهم موئل الحكمة والرأي السديد كل هذه الأمور غالباً ما تكون لدى الأفراد مجموعة من الاستعدادات والتصورات والمعايير التي قد تؤثر بشكل مباشر على سلوك الفرد وقدرته على تكوين آرائه المستقلة، وعليه يمكن القول إن دور الأسرة في تشكيل الذات السياسية Political Self يسير في خط متوازٍ مع دورها في التنشئة العامة.

ثانيا: المدرسة:

وتقوم المدرسة بعملية التنشئة السياسية عن طريقين:

1- التثقيف السياسي:

ويتم هذا التثقيف من خلال مواد معينة كالتربية الوطنية والتاريخ. وتهدف التربية الوطنية إلى تعريف التلميذ بحكومة بلده، وتحديد السلوك المتوقع منه، وزرع مشاعر الحب والولاء القومى في نفسه، ويرمى تدريس التاريخ بما يتضمنه من انتصارات وهزائم إلى تعميق إحساس الطالب بالفخر والانتماء القوميين.

2- طبيعة النظام المدرسي:

فالمدرسة وحدة اجتماعية لها طابعها الخاص الذي يساعد بدرجة كبيرة في تشكيل إحساس التلميذ بالفاعلية الشخصية وفي تحديد نظرته تجاه البناء الاجتماعي القائم.

ثالثا: جماعة الرفاق:

تعرف جماعة الرفاق على أنها الجماعة التي تتكون من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون في أعمارهم وميولهم وهواياتهم، كما أنها الجماعة التي ينسب إليها الفرد سلوكه الاجتماعي ويقيمه في إطار معاييرها وقيمها واتجاهاتها وأنماط سلوكها المختلفة.

وجماعات الرفاق لها دور في التنشئة السياسية من خلال حث أعضائها أو الضغط عليهم ليعملوا وفق الاتجاهات وأنماط السلوك السياسية إلى تقبلها الجماعة، فالفرد قد يصبح مهتماً بالسياسة أو متابعاً للأحداث السياسية لأن أحد أو بعض رفاقه المقربين يفعلون ذلك.

رابعا: دور المؤسسات الدينية:

تقوم المؤسسات الدينية بدور كبير في عملية التنشئة وذلك لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها: إحاطتها بهالة من التقديس، وثبات وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأفراد، والإجماع على تدعيمها ، والدين له مؤسساته التي تعمل على تحقيق أهدافه وغاياته السامية، ولا يقف الدين عند حدود العبادات وإقامة الشعائر الدينية، بل أن الدور الذي يقوم به في تنشئة الأفراد يكاد يعكس آثاره على بقية المؤسسات الأخرى العاملة في مجال الضبط الاجتماعي، ولذلك يعد الدين والمؤسسة التي تعمل على تحقيق أهدافه عنصراً أساسياً من عناصر التنشئة.

وتقوم المؤسسات الدينية بدورها في عملية التنشئة من خلال:

تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم سلوك الفرد بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع،إمداد الفرد بسلوكيات أخلاقية،تنمية الضمير عند الفرد والجماعة،الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية السامية إلى سلوك عملي،توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

خامسا: دور مؤسسات العمل:

وتؤثر مؤسسات العمل في التنشئة من خلال ما يدور داخلها من علاقات واتصالات ومعاملات بين الرؤساء والمرؤوسين، وبين العاملين في هذه المؤسسات بعضهم البعض بحيث أنه كلما اتسمت هذه العلاقة بالود والتعاون والمشاركة في اتخاذ القرارات، وفي تسيير أمور المؤسسة، كلما كان الفرد أكثر ميلاً للمشاركة خارج نطاق العمل، أما إذا اتسمت هذه العلاقة بالحقد والكراهية والتسلط، كلما كان الفرد أكثر ميلاً إلى السلبية واللامبالاة في داخل وخارج بيئة العمل.

سادسا: دور الأحزاب السياسية:

تقوم الأحزاب السياسية بدور كبير في عملية التنشئة من خلال غرس قيم ومفاهيم ومعتقدات سياسية معينة لدى الفرد، وذلك بهدف توجيه الأفراد وجهة سياسية معينة تتفق مع توجهات هذه الأحزاب، كما تم توضيحه في العدد الثاني من هذه السلسلة عن الأحزاب.

وتقوم الأحزاب بهذا الدور من خلال ما تقدم من معلومات، وما تمارسه من تأثيرات على الآراء والقيم والاتجاهات السلوكية السياسية للجماهير، مستخدمة في ذلك كل ما تملك من وسائل اتصال بالجماهير سواء كانت هذه الوسائل جماهيرية كالراديو والتليفزيون والصحف والمجلات والكتيبات والنشرات وغيرها، أو وسائل اتصال مباشر كالندوات والمؤتمرات والمحاضرات والاجتماعات والمناقشات والمقابلات التي ينظمها الحزب من أجل الوصول إلى أكبر قطاع ممكن من الجماهير ، وتقوم الأحزاب السياسية بدور مزدوج في عملية التنشئة السياسية يتمثل في دعم الثقافة السياسية السائدة، وخلق ثقافة سياسية جديدة.

سابعا: دور وسائل الاتصال:

تؤدى هذه الوسائل من صحف ومجلات وإذاعة وتليفزيون دوراً هاماً في عملية التنشئة السياسية. إذ تزود الفرد بالمعلومات السياسية وتشارك في تكوين وترسيخ قيمه السياسية. وفي المجتمعات المتقدمة تنتشر الوسائل الإعلامية على نطاق واسع وتقوم هذه الوسائل بنقل المعلومات عن قرارات وسياسات النخبة الحاكمة إلى الجماهير، ونقل المعلومات عن مطالب وردود فعل الجماهير إلى النخبة وهذا التدفق المستمر للمعلومات من أعلى إلى أسفل وبالعكس من شأنه العمل على تأكيد قيم الثقافة السياسية السائدة.

وقد عمدت القيادات السياسية في الدول النامية إلى تطوير وسائل الاتصال الجماهيري لتسهم في تشكيل الثقافة السياسية الجديدة غير أنه توجد مجموعة من العوامل كالأمية وتدهور مستويات المعيشة والفقر والمرض وغياب التيار الكهربائي وعزلة القرية التي تحول دون تحقيق الاستفادة القصوى من هذه الوسائل ، ويقتضى تعظيم الاستفادة من الوسائل الجماهيرية حدوث نوع من التعاون والتضافر في الجهود التي تبذلها مؤسسات أخرى.

المبحث الرابع: مراحل التنشئة السياسية

تمر عملية التنشئة بعدد من المراحل التي ترتبط بنمو الفرد وتطوره، وهى مرحلة الطفولة ثم المراهقة وأخيراً النضج والاعتدال. ويتحدد السلوك السياسي للفرد في مرحلة النضج بدرجة ما بخبرات التنشئة التي يكتسبها في مرحلتي الطفولة والمراهقة ، ويتلقى الفرد في كل مرحلة من هذه المراحل جزءاً من عملية التنشئة. كما يتعرض ايضاً في كل مرحلة إلى أداة أو أكثر من أدوات التنشئة التي قد تكمل بعضها البعض أو قد يتعارض بعضها مع البعض الآخر.

فالإنسان في مختلف مراحل حياته يعايش مؤسسات عديدة، بعضها مفروض عليه .كالأسرة أو المدرسة مثلاً . وبعضها الآخر إرادي ينضم إليه طوعاً دون ضغط، ويتلقى من كل هذه المؤسسات خبرات وقيم واتجاهات ومبادئ يختزنها في ذاكرته ووجدانه لتساهم بطريق مباشر أو غير مباشر في تحديد مواقفه وسلوكه بعد ذلك. فالطفل حينما يتأثر بنمط تنشئة سياسية معين موجهة له فإنه يمر بمراحل متعددة كي يحصل على معرفة تجاه السلطة و قد أشارت بعض الدراسات إلى هذه المراحل و هي كالتالي:

أولا: التوجه في التعرف على السلطة بالتسيس Politisation:

هنا يدرك الطفل من خلال علاقاته في الأسرة و المدرسة و المجتمع أن هناك سلطات أعلى منه يجب عليه طاعتها من خلال مواقفه في الحياة معهم، فبمرور الوقت يدرك الطفل أنه مطالب بطاعة الوالدين، و تقدير المعلم أو مدير المدرسة، و احترام رجل الشرطة.

ثانيا: التوجه في التعرف على السلطة بالشخصانية Personnalisation:

في هذه المرحلة يمكن للطفل أن يبدأ بجمع معلومات عن شخصيات معينة قريبة منه و يسهل على عقله إدراكها مثل: مدير المدرسة أو الشرطي، فيقوم بطرح أسئلة عن مهام هذه الشخصية و مكانتها في المجتمع، و دورها في الحياة المدنية و المجتمعية، و من ثم تتطور هذه العملية إلى أن يدرك الطفل و يجمع معلومات عن رئيس الدولة أو رئيس الحكومة في مرحلة متقدمة تتوازى مع مرحلة عمره و نضجه العلمي و السياسي.

ثالثا: التوجه في التعرف على السلطة بالمؤسسات Institutionnalisation:

هذه هي أهم المراحل في عملية التنشئة السياسية للطفل فيها تتضح الصورة لدى الأطفال من خلال ربط الصفات الملتصقة في أذهانهم عن بعض الشخصيات كرجل الشرطة، والرئيس، بالمؤسسات السياسية كإدارة الشرطة، و المجالس البرلمانية و الحكومة، و غيرها من المؤسسات الأخرى مما يدل على مدى النضج السياسي لدى الطفل الذي أصبح يدرك تطور المنظمات و المؤسسات القائمة في النظام السياسي، و من جهة أخرى فإن هذا النمط من التعرف على السلطة يثري معرفة الفكر السياسي لدى الناشئ.

إن وجود تنشئة سياسية صحيحة توجه نحو الأطفال في المراحل المبكرة من عمرهم هي مطلب ضروري يحتاج إلى بيئة و إرادة سياسية تساعد فعلاً على تفعيل هذه العملية بشكلٍ صحيح و مؤثر من أجل الحصول على أفراد فاعلين في المجتمع.

المبحث الخمس: دور التنشئة السياسية في عملية التنمية الوطنية الشاملة

تعد العملية التربوية الإنسانية بصفة عامة، والتنشئة السياسية بصفة خاصة إحدى المعطيات المنبثقة عن الحياة في الجماعات الإنسانية، والتي بدورها تنجم عن معطيات البيئة الوظيفية والبيئة المادية لتلك الجماعات المتضمنة لقوالب ونماذج معينة للفكر

وللسلوك، والمنطوية على نماذج من التصورات الجماعية المشتركة التي تصدر عن الجماعة وتستمر بالجماعة ومن اجلها تعمل على دعم ظواهرها ومكونات بنائها ومؤسساتها الوظيفية وعاداتها التقليدية والمستحدثة على السواء.

البيئة الإنسانية هي التي تسعى إلى تحريك وتطوير واقعها في الاتجاه الذي من شأنه أن يحقق متطلباتها ويواجه احتياجاتها ويحل مشكلاتها وينمي طاقاتها. ويتخذ كل مجتمع من التربية وسيلة لضمان استمرار بقائه مشدودا بتراثه وماضيه متطلعا إلى مستقبله وأمانيه. ومن ثم كانت التربية عملية ديناميه في محتواها، ايجابية في تأثيرها، خاصة إذا كانت هادفة إلى تحقيق تغير اجتماعي وسياسي وثقافي واسع النطاق بعيد المدى.

أي أن العملية التربوية الوطنية تتولى مراحل التشكيل المختلفة في حياة الفرد، وتتدخل في تحديد استجاباته وصياغة مواقفه الفكرية لتعده فكرا وسلوكا لخدمة وطنه، ولتنمي فيه مشاعر الولاء والانتماء الوطنيين لنظامه السياسي، ومن المعروف أن كل مجتمع ما هو إلا شبكة معقدة جدا من العلاقات والمكونات والمتغيرات التي تتفاعل في إطار فكري وسلوكي لعدد كبير من الجماعات الصغيرة المترابطة والمتشابكة، والتي تقوم بينها علاقات تفاعل مستمر. ومن بين هذه الجماعات التي تؤدي خدمات للمجتمع: الأسرة، وجماعات الرفاق، المدرسة، والنقابات، والأندية والجمعيات المختلفة، التي تلعب بدورها دورا كبيرا في عمليات التنشئة الوطنية (الاجتماعية والسياسية).

وكل فرد يعيش في المجتمع ينتمي إلى أكثر من جماعه في نفس الوقت سواء كانت أوليه أو ثانوية. وتعمل كل جماعة منها بالتضافر مع الجماعات الأخرى على تنشئته اجتماعيا وثقافيا، وتتدخل في تحديد أنماط سلوكه وقيمه وآرائه، وهكذا يظل الفرد – شاء أم أبى ــ مجالا للتشكيل وإعادة التشكيل وفقا لمواقف ومقتضى الحال ونتيجة لازمة لعمليات التفاعل التي تحيط به، وهذه المواقف تشكل ظاهرة تربوية.

وفي ضوء ما تقدم تعرف الظاهرة التربوية من وجهة النظر الاجتماعية بأنها نظام اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة وتشكيل النشأ من خلال وسائط ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية تكوين الفرد وتهيئته من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية ليكون عضوا في مجتمعه يحيا حياة سويه في بيئته الاجتماعية.

من الملاحظ أن هذه النظرة الاجتماعية مهمة وواقعية ولكنها أهملت المنظور السياسي المتعلق بمتطلبات التنشئة السياسية في المجتمع. إذ أن عمليات التشكيل والتحديث والتطوير للعملية التربوية والتعليمية لتحقيق أهداف التنشئة الاجتماعية والثقافية الوطنية لا بد وأن تخضع للقرار السياسي وتتأثر بالمناخ السياسي السائد في ذلك المجتمع بعقيدته وأنظمته السياسية والعقائدية التالي تساهم بدورها في تشكيل الثقافة السياسية والاجتماعية للفرد، وبهذا المعنى يرى محمد الجوهري أن التربية عملية عامه ومستمرة لإعداد الفرد للتكيف مع بيئته الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية...، ولإمداده بعناصر مدنيته وحضارته، ولتزويده بمظاهر التحضير وبإنجازات العلم والتكنولوجيا، وبإرشاده بوسائل تبصره وتوعيه.

إلا أنه في تحليله ذلك أهمل بدوره أهمية التربية في إعداد الفرد للتكيف مع البيئة السياسية التي تمثل الإطار الشرعي والقانوني لوجوده ولسلوكياته منذ الصغر وطوال حياته. إذ أن جميع العمليات التربوية والتعليمية التي تطبق في المجتمع عادة ما توجه وتنظم من قبل النظام السياسي وبدورها تطبق من خلال مؤسسات التربية (الموجهة من قبل النظام السياسي) التي توفر تفاعلا اجتماعيا بهدف توظيف مفاهيم التنشئة الوطنية وتضمينها في الشخصية الوطنية للأجيال.

ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى التفاعل الاجتماعي بين الفرد وبيئته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أنه المحور الذي يتوجب أن ترتكز عليه الإجراءات التربوية التي تعد الفرد وتشكل شخصيته الاجتماعية والسياسية وترسي مقومات ثقافته العامة وتعلمه على أدبيات وأخلاقيات التعامل مع الآخرين باختلاف نطاقها وتعدد نوعياتها.

ولما كانت البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تتأثر بالظروف المحيطة بها (خصوصا البيئة الدولية)، وحيث أن هذه الظروف بالنسبة للمجتمعات النامية بصفة عامة والشرق الأوسط بصفة خاصة، قد تغيرت بتغير الأوضاع في الشرق الأوسط، أصبحت قضية التنمية الوطنية في المنطقة تمر اليوم بمرحلة جديدة من مراحل تطورها (البحث عن الهوية الوطنية أو القومية) لمواجهة التحديات والمخاطر العالمية بداية من مخاطر ضعف الهوية الوطنية خصوصا الولاء والانتماء الوطني, ومرورا بضعف الثقافة الوطنية وعدم قدرتها على مواجهة الثقافات الخارجية, ونهاية بمخاطر التبعية والوقوع تحت براثن الهيمنة الخارجية.

خاتمة:

في الأخير يمكن القول أن لعملية التنشئة السياسية دور فعال في تكوين قيم ومعايير النظم الاجتماعية مما يساعد على بناء شخصية سوية وأيضا يقلل من حدة التوترات التي يمكن أن تؤثر في البناء الغير سوي للفكر السياسي للفرد في المجتمع والذي ينعكس بدوره في السلوكات الغير سوية (التعبير عن الأفكار بالقوة).

وهذا كله بمعرفة المناخ السياسي السائد في المجتمع ومحاولة تلقينه للفرد في المجتمع من خلال المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، وهذا كله يهدف إلى المحافظة على الوظيفة الكلية للبناء الاجتماعي من خلال المحافظة على الأنساق الاجتماعية التي تكونه.

قائمة المراجع

(01) Grawitz (M), lexique des science social, Paris, Ed Dalloz, 6ème

(02) إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، عمان، دار الشروق، 1999.

(03) Guy Rocher, Introduction a la sociologie générale, Tome 1, Montréal, Ed HMH, 1968,.

(04) محمد قاسم عبد الله، التنشئة الاجتماعية للتفكير السياسي، مجلة الفكر العربي-عدد 97 صيف 1999.

(05) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندريه، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص 152.

(06) سميرة أحمد السيد، علم أجتماع التربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993 م.

(07) Laster F. Word_ Popular Science, Ed Monthly- June, 1902-.

(08) عبدا لوهاب ألكيالي، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986.

(09) إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1987.

(10) حسن إسماعيل السيد، من أجل علم اجتماع سياسي، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2006.

(11) حسن ابراهيم شحاته، المجتمع المتغير، عمان، دار الشروق، بدون تاريخ.
(12) رأفت مصطفى رأفت، النظرية في علم الاجتماع، بيروت، دار عودة، 2003.
(13) عبد العاطي السيد، صراع الأجيال، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990.
(14) إدوارد ناجي، بيروت بين الشرق والغرب، بيروت، شورت بريس، 2000.
(15) عبدا لله ألخريجي، الضبط الاجتماعي، دار الأمة، جده، 1982..
(16) محمد الجوهري، محاضرات في علم الاجتماع التربوي، مذكره غير منشوره على الآلة الناسخة، جده، جامعة الملك عبدا لعزيز، كلية الآداب والعلوم الانسانيه، 1976.
(17) محمد الجوهري وآخرون، مباديء علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، 1974.
(18) أحمد الخشاب، علم الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي، القاهره، مكتبة القاهره الحديثه، ط1، 1971 م.
(19) محمد عطية، التربية السياسية للفرد في المجتمع، بيروت، دار الطليعة، 1997